﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [النمل: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ خبرِ بِلْقيسَ بعدَ إلقاءِ الكتابِ إليها

لمّا كان من شأن الملوك ألّا يصل إليهم أحد بكتاب ولا غيره إلّا على أيدي جماعتهم؛ عظَّمتْ بلقيس هذا الكتاب بأنَّه وصل إليها على غير ذلك المنهاج، فلمّا ألقَى الهُدْهُدُ الكتابَ إلى بِلْقيسَ وقومِها - كما أُمر - تشوَّفَت النَّفسُ إلى قولها عند ذلكَ، فقيلَ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾: (ملأ) أصلٌ يدلُّ عَلَى المُساواةِ والكَمالِ في الشَّيْءِ، ومَلَأْتُ الشَّيْءَ أَمْلَؤُهُ مَلْئًا، والمِلْءُ: الاسْمُ لِلْمِقْدارِ الَّذي يُمْلَأُ؛ وسُمّيَ؛ لِأَنَّهُ مُساوٍ لِوِعائِهِ في قَدْرِهِ، ويُقالُ: أَعْطِني مِلْأَهُ ومِلْأَيْهِ وثَلاثَةَ أَمْلائِهِ، ومِنْهُ أَمْلَأَ النَّزْعَ في القَوْسِ؛ إذا بالَغَ، ومِنْهُ الملأُ: الأَشْرافُ مِنَ النّاسِ؛ لِأَنَّهُم مُلِئوا كَرَمًا[2]، وسُمّوا بذلكَ؛ لأنَّهم يملؤونَ القُلوبَ هَيْبَةً، والعُيونَ جلالةً[3]، وقيلَ: الملأُ: جماعةٌ يجتمعونَ على رأيٍ، فيملؤونَ العُيونَ رواءً ومنظرًا، والنُّفوسَ بَهاءً وجلالًا، قالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: 246]، ويقالُ: فلانٌ مِلْءُ العُيونِ، أي: مُعظَّمٌ عندَ مَنْ رآهُ، كأنَّهُ ملأَ عينَهُ مِنْ رؤيتِهِ، ومالَأْتُهُ: عاونْتُهُ وصِرْتُ مِنْ مَلَئِهِ، أي: جَمْعِهِ[4]، والملأُ هنا: الجماعةُ مِنْ أشرافِ القومِ، وهم أهلُ مجلسِها[5].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 156 - 157.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملي).
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (ملأ).
(4) الراغب، المفردات: (ملأ).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 258.

2) ﴿كَرِيمٌ﴾: (كرم) أصلٌ يدلُّ على شَرَفٍ في الشَّيءِ في نفسِهِ أو شَرَفٍ في خُلُقٍ مِنَ الأخلاقِ[1]، وإذا وُصِفَ اللّهُ تعالى بالكرمِ؛ فهو اسمٌ لإحسانِهِ وإنعامِهِ، نحوُ قولِهِ: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل: 40]، وإذا وُصِفَ بِهِ الإنسانُ؛ فهو اسمٌ للأخلاقِ والأفعالِ المحمودةِ الَّتي تظهرُ منهُ، والإكرامُ والتَّكريمُ: أنْ يوصَلَ إلى الإنسانِ إكرامٌ، أي: نفعٌ لا يلحقُهُ فيهِ غَضاضةٌ، أو أنْ يُجعلَ ما يوصَلُ إليهِ شيئًا كريمًا، أي: شريفًا، قالَ سبحانَهُ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾ [الذاريات: 24][2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إخبارُ بِلْقيسَ بإلقاءِ كتابٍ كريمٍ إليها

لمّا ألقَى الهُدْهُدُ الكتابَ إلى بِلْقيسَ؛ جمعَتْ عندَ ذلكَ أُمَراءَها ووزراءَها وكُبَراءَ دولتِها ومملكتِها، ثمَّ قالَتْ لهُم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾، ثمَّ قرأَتْهُ عليهِم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

اجتماعُ القومِ للمشاورةِ استجابةً لكتابِ سليمان

جملةُ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ مُستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّ غرابةَ قصَّةِ إلقاءِ الكتابِ إليها تُثيرُ سؤالًا عن شأنِها حينَ بلغَها الكتابُ[4]، مفادُه: ماذا فعلت بلقيس وقومها حين وصلهم الكتاب؟ فيكونُ فصلُ الآيةِ عمّا قبلَها؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ الموجِبِ للفصلِ.

بلاغةُ الإيجازِ في الآيةِ:

مِنْ تمامِ الطّاعةِ المسارعةُ إلى الخضوعِ

في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ إيجازٌ يدلُّ ظاهرُ القولِ عليهِ، تقديرُهُ: فألقَى الكتابَ، وقرأَتْهُ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كرم).
(2) الراغب، المفردات: (كرم).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 188.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 258.

وجمعَتْ لهُ أهلَ مُلْكِها[1]، وإنَّما طويَ ذكرُ ذلكَ؛ إيذانًا بمسارعة بلقيس في النَّظر في شأن هذا الكتاب لأهمّية ما جاء فيه، وإشعارًا باستغنائِهِ عنِ التَّصريحِ بهِ لغايةِ ظُهورِهِ[2].

بلاغةُ النِّداءِ بـ (يا):

الاهتمامُ بالأمرِ المُنادَى لهُ

جيءَ بالنِّداءِ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾، واستُعمِلَتْ فيهِ (يا) الَّتي يُنادَى بها المُعرَّفُ، ويُنادَى بها البعيدُ، وجيءَ معَها بهاءِ التَّنبيهِ؛ إشارةً إلى شدَّةِ اهتمامِ بِلْقيسَ بمُناداةِ الملأِ، ولَفْتِ انتباهِهم للكلامِ الَّذي ستُلقيهِ عليهِم؛ لأنَّهُ كلامٌ مُهِمٌّ يتعلَّقُ بمصيرِ مملكتِهم.

سرُّ تخصيصِ الملأِ بالنِّداءِ:

الملأُ هم أشرافُ قومِها وأهلُ مشورتِها

خصَّتْ بِلْقيسُ الملأَ بالنِّداءِ في قولِها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾؛ لأنَّ الملأَ هم أشرافُ النَّاسِ الَّذينَ يَنوبونَ مَنابَ الجميعِ[3]، وهي نادَتْ أشرافَ قومِها وأعيانَهم الَّذينَ هم أهلُ مجلسِها ومستشاروها[4] المعهودونَ، فـ (أل) للعهدِ، وفي ندائِهم بوصفِ الملأِ تعظيمٌ لهُم[5].

نكتةُ التَّوكيدِ بـ (إن) في الآيةِ:

الكتابُ الكريمُ المُلقَى محلُّ عنايةٍ

جيءَ بالتَّأكيدِ بـ (إنَّ)، وتقديم شبه الجملة في قولِ الحقِّ تعالى: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾؛ للاعتناءِ بشأنِ الحُكْمِ[6]، وهو إلقاءُ كتابٍ كريمٍ إليها؛ لكونِها تملكُ قومَها، ولا تعرفُ مُلقيهِ، ولأنَّ هذا الحُكمَ مَظِنَّةُ الإنكارِ[7].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 258، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 191.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 283، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 17/ 10776.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 258.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 258.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 157.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 190.
(7) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 381.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمبنيِّ للمفعولِ في ﴿أُلْقِيَ﴾:

غرابةُ إيصالِ الكتابِ مدعاةٌ للتَّعظيمِ أو التَّحقيرِ

الظّاهرُ أنَّ بناءَ الفعلِ للمفعولِ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَبٌ كَرِيمٌ﴾ لأنَّها لا تعرفُ المُلقيَ، ولذلكَ حذفَتْهُ[1]؛ لأنَّ مِنْ شأنِ المُلوكِ ألّا يصلَ إليهم أحدٌ بكتابٍ ولا غيرِهِ إلّا على أيدي جماعتِهم، فعظَّمَتْ هذا الكتابَ بأنَّهُ وصلَ إليها على غيرِ ذلكَ المنهاجِ، فبنتِ الفعلَ للمفعولِ[2]، ويحتملُ أنْ تكونَ بنتِ الفعلَ للمفعولِ؛ تحقيرًا للفاعلِ، وعدمِ العنايةِ بهِ؛ إذ كانَ طائرًا، وهذا إنْ كانَتْ شاهدَتْهُ عندَ إلقاءِ الكتابِ[3].

فائدةُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿إِلَيَّ﴾:

بيانُ أنَّ الكتابَ أُلقيَ إليها مباشرةً

يدلُّ التَّعبيرُ بـ﴿إِلَيَّ﴾ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَبٌ كَرِيمٌ﴾ على أنَّ الكتابَ قد أُلقيَ إلى بِلْقيسَ مباشرةً دونَ توسُّطِ أحدٍ مِنْ رَعيَّتِها، وذلكَ على خلافِ المعتادِ في مجيءِ الكتبِ والرَّسائلِ إلى المُلوكِ.

غرضُ تقديمِ شِبْهِ الجملةِ ﴿إِلَيَّ﴾:

مَنْ يملكُ القومَ أحرَى بالمراسلةِ

تقديمُ شبهِ الجملةِ في: ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَبٌ كَرِيمٌ﴾؛ للحصرِ، فيفيدُ الكلامُ أنَّ الكتابَ أُلقيَ إليها لا إلى غيرِها؛ لأنَّها هي الَّتي تملكُ قومَها، وتَسوسُ أمرَهم.

غرضُ تنكيرِ ﴿كِتَبٌ﴾:

تفخيمُ شأنِ الكتابِ وتعظيمُهُ

جيءَ بلفظِ ﴿كِتَبٌ﴾ في قولِهِ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَبٌ كَرِيمٌ﴾ مُنكَّرًا؛ لتفخيمِ شأنِ الكتابِ وتعظيمِهِ[4].

سرُّ وصفِ الكتابِ بالكريمِ:

تعظيمُ الرِّسالةِ لعظَمةِ مُرسِلِها

سببُ وصفِ بِلْقيسَ الكتابَ بالكريمِ في قولِها: ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَبٌ كَرِيمٌ﴾ إمّا: لأنَّهُ كانَ مختومًا، وإمّا: لأنَّهُ كانَ مِنْ مَلِكٍ، فوصفَتْهُ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 234، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 381.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 157.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 234، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 190، وأطفيش، تفسير أطفيش: 7/ 291.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 381.

بالكريمِ تكريمًا لصاحبِهِ[1]، فيكونُ في الكلامِ إسنادٌ مجازيٌّ، وإمّا لحُسْنِ مضمونِهِ وما فيهِ[2]؛ لِما تضمَّنَ مِنْ لينِ القولِ والموعظةِ في الدُّعاءِ إلى عبادةِ اللّهِ ﷻ، وحُسْنِ الاستعطافِ والاستلطافِ، مِنْ غيرِ أنْ يتضمَّنَ سبًّا ولا لَعْنًا، ولا ما يُغيِّرُ النَّفْسَ، ومِنْ غيرِ كلامٍ نازلٍ ولا مُستغلقٍ، وذلكَ على عادةِ الرُّسُلِ في الدُّعاءِ إلى اللّهِ ﷻ[3]، وإمّا: لأنَّ سليمانَ عليه السلام بدأَ فيهِ بنفسِهِ، ولا يفعلُ ذلكَ إلّا الأَجِلّاءُ[4]، وإمّا: لغرابةِ شأنِهِ ووصولِهِ إليها على منهاجٍ غيرِ معتادٍ[5].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 452.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 554.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 191.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 191.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 283.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»